OPEN ACCESS

Received: 22 -01 -2025

Accepted: 15- 04-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Implicitness and Implicature: Function and Context in ʿAbdullah Billa's *Twenty-Four Memories for One Poem*

Dr. Mastoura Misfer Al-Arabi *

Mastoura1444@gmail.com

Abstract

This paper explores how *Twenty-Four Memories for One Poem* by Abdullah Billa generates meaning through a constant negotiation between what is stated outright and what is left to be inferred. Drawing on pragmatic theory, it argues that the collection relies on functional implicatures——logical links that bind its poetic sequences——yet these links are repeatedly complicated by high rhetorical density. The text therefore pushes readers to move from literal statements to context-driven, implicit understandings. The analysis demonstrates that examining such implicit layers is a fundamentally pragmatic task, fully applicable to literary criticism. Ultimately, the study contends that the so-called "unsaid" is simply the dynamic interplay of explicit and implicit meanings, an interplay that lies at the heart of the collection's poetic power and imaginative originality.

Keywords: Implicitness, Implicature, Rhetorical Density, Explicit Meaning, Suggestive Meaning.

* Associate Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Taif University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Arabi, M. M. (2025). Implicitness and Implicature: Function and Context in ʿAbdullah Billa's *Twenty-Four Memories for One Poem, Arts for Linguistic & Literary Studies, 7*(2): 29 -45. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2591

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/01/22م
تاريخ القبول: 2025/04/15م

الاقتضاء والإضمار بين الوظيفة والسياق في ديوان (أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدة واحدة) لعبدالله بيلا

د. مستورة مسفر العرابي*

Mastoura1444@gmail.com

ملخص:

تناقش هذه الدراسة قضية أساسية في تأويل الخطاب، وإعادة بناء دلالاته المتعددة، وهي: إشكالية الازدواجية في بناء المعنى بين الاقتضاء The (Implicature)، والإضمار (The Implicit). إذْ يوجه النص رسائله إلى المتلقي انطلاقًا من دعامتين هما: المعنى الصريح ومقتضاه؛ ليصل إلى المعنى المضمر سياقيًّا، وبناءً على شروط التخاطب والتواصل. معنى ذلك أن التواصل العادي أو الشعري يقوم على أساس بنياتٍ وظيفية تقتضيها لغة الإنجاز من جهة، ويقتضيها سياق التلقي من جهة ثانية. فكيف تشتغل هذه الثنائية، وتتمظهر معاني الرسالة انطلاقًا من الاقتضاء والإضمار، وبناءً على الوظيفة والسياق في الخطاب الشعري (أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدةٍ واحدة) لعبد الله بيلا؟ نفترض، لمعالجة ذلك، أن ديوان الشاعر يبني عوالمه المتعددة انطلاقًا من وظيفة الاقتضاء بوصفه علاقة منطقية مساقية تربط بين متواليات النص، بيد أن هذا الاقتضاء قد تشوّش عليه الكثافة البلاغية، فتتعدّى المعاني نسق الصريح المباشر نحو الاستلزام الحواري، أو ما يُنعت بمُضمرات الخطاب السياقية، ويعتمد البحث المنهج التداولي، وتوصلت الدراسة إلى أن البحث في المضمرات هو ذو طبيعة تداولية في تحليل الخطاب قابل في مجال النقد الأدبي للاختبار على الخطاب الشعري أو السردي عامة. كما أن من نتائجه الأساسية أن ما ينعته بعض النقاد (بالمسكوت عنه) ليس إلا تحليلا وتفكيكًا لعلاقة المعنى الصريح بالمعنى المضمر. فهذا التكافؤ والتوازي بين النسقين في الخطاب هو ما يحدث الشعرية، وغرابة الفعل الأدبي المتخيل.

الكلمات المفتاحية: الاقتضاء، الإضمار، الكثافة البلاغية، المعنى الصريح، المعنى الإيحائي.

* أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك، قسم اللغة العربية، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: العرابي، م. م. (2025). الاقتضاء والإضمار بين الوظيفة والسياق في ديوان (أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدة واحدة لعبدالله بيلا، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 7*(2): 29-45. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2591

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

نجد في اللسانيات الحديثة تراكمًا لنظريات دلالية وتداولية تعالج قضية البناء الموازي للاقتضاء (أوالاستلزام) والإضمار؛ قصد بناء المعنى وتفسيره، وإبراز علاقته بالنسق اللُّغوي وقواعده، وبالسياق الخارجي وشروطه. وبذلك تعدّدت الدراسات التي قاربت تلك الإشكالية، انطلاقًا من اقتراحات جريماس في أبحاثه الدلالية البنيوية وأوريكيوني في دراساتها للمضمر والإيحاء، ناهيك عن دراسات سورل وغرايس وأوستين المرتبطة ببناء الدلالة بواسطة النسق القضوي للغة، وبناءً على السياق وما يطرحه من إشكاليات تخصُّ بناء المعنى، وإقناع المتلقي به. ذلك أن الدراسات التداولية على وجه التحديد قد اعتبرت الخطاب التواصلي عملية دينامية، لبناء المعنى وفق شروط التواصل، وهي بالأساس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية وغيرها.

من ثم، نجد مفهوم الأفعال اللغوية، وما تقتضيه من معانٍ متعددة خاصة في مقاربات جرايس يصب في أهداف بحثنا من حيث التمييز بين مبادئ وشروط الاقتضاء والإضمار، ننظر إليهما في سياق الترابط القضوي والإنجازي. أي وفق المنظور التفاعلي الذي يؤول الإضمار في علاقته بالاقتضاء والعكس صحيح، وهو ما وسعه سورل في نظريته الفلسفية اللغوية.

تلك الطروحات المختلفة سنوسعها انطلاقًا من المنهاجية الاستنباطية. حيث ننطلق من الكل نحو الجزء، وحيث نستخلص القواعد الدلالية والتركيبية والسياقية؛ لنختبر فعاليتها في النصوص الشعرية لعبد الله بيلا. وبذلك نزاوج بين النظرية والتطبيق مستثمرين على مستوى المنهج الدراسات اللسانية التداولية مع سورل وغرايس وأوستين، كما نستثمر بعض نتائج الدراسات البلاغية التداولية والسيميائية مع كل من أوريكيوني وجريماس وغيرهما، مستحضرين بطبيعة الحال بعض اجتهادات علمائنا العرب المعاصرين وعلى رأسهم أحمد المتوكل من خلال اشتغاله على اللسانيات الوظيفية، وتطبيقاتها على اللغة العربية.

فكيف نعرف بواسطة الحد اللساني مفهومي الاقتضاء والإضمار؟ ثم إلى أي حد يسعفنا المنظور التداولي بوصفه منهجًا في تأويل وبناء المكونات التداولية في خطاب شعري؟

وقد وقف البحث على الدراسات السابقة الآتي:

- "دلالة الاقتضاء بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة" للدكتور بوشعيب مسعود راغين، (مجلة طيبة، ع27، 2019م)، ويناقش مفهوم الاقتضاء بوصفه أحد أشكال البحث الدلالي، كما يعرض تطور المفهوم في الفكر العربي القديم، ومقارنته مع اللسانيات المعاصرة، مع التركيز على تداخل الاقتضاء مع السياق والوظيفة في الخطاب.
- " مباحث في علوم القرآن- باب: دلالة الاقتضاء ودلالة الإشارة"، لمناع القطان، (مكتبة المعارف، ط1، 1421هـ)، يشرح هذا الكتاب دلالة الاقتضاء في النصوص القرآنية، ويوضح الفرق بينها وبين دلالة الإشارة، مع أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم، وشرح بلاغي وأصولي.
- مقال "حد الخطاب بين النسقية والوظيفية" لنبيل موميد، ويركز على أن الخطاب لا يُفهم إلا في سياقه المقامي والاجتماعي والثقافي، وأن وظيفته الأساسية هي التواصل والإقناع، مع التأكيد على أن بنية الخطاب مرتبطة بظروفه المقامية والمعرفية لدى المتخاطبين.

- كتاب "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية" لأحمد المتوكل، يُعد مرجعًا مهمًّا في ربط بنية الخطاب بالسياق، ويعرض كيف أن فهم الخطاب يتطلب مراعاة المعارف العامة والمقامية والسياقية، مما ينعكس مباشرة على كيفية تفسير الاقتضاء والإضمار.

وعلى هذا، تعالج دراستنا هذه قضية أساسية من قضايا النقد الحديث وقراءة الخطاب، وإعادة بناء دلالاته المتعددة، وهي:

إشكالية الازدواجية في بناء المعنى بين الاقتضاء (The Implicature) والإضمار (The Implicit). حيث يوجه النص رسائله إلى المتلقي انطلاقًا من دعامتين هما: المعنى الصريح ومقتضاه، ليصل إلى المعنى المضمر سياقيًّا، وبناءً على شروط التخاطب والتواصل.

معنى ذلك، أن التواصل العادي أو الشعري يقوم على أساس بُنى وظيفية تقتضيها لغة الإنجاز من جهة، ويقتضيها سياق التلقي من جهة ثانية، فكيف تشتغل هذه الثنائية، وتتمظهر معاني الرسالة انطلاقًا من الاقتضاء والإضمار؟ وبناءً على الوظيفة والسياق في الخطاب الشعري: (أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدةٍ واحدة) للشاعر عبدالله بيلا؟.

هكذا، نفترض أن ديوان الشاعر يبني عوالمه المتعددة انطلاقًا من وظيفة الاقتضاء، بوصفه علاقة منطقية تربط بين متواليات النص. بيد أن هذا الاقتضاء قد تشوّش عليه الكثافة البلاغية، فتتعدّى المعاني نسق الصريح المباشر نحو الاستلزام الحواري، أو ما يُنعت بمُضمرات الخطاب السياقية.

فكيف نتحقق من فرضياتنا السابقة؟ ومن ثم كيف نعالج إشكالية الازدواجية بين الصريح والمضمر في الخطاب الشعري؟

1،1 مفهوم الاقتضاء

تمّت معالجة مفهوم الاقتضاء ضمن فلسفة اللغة، وفي الدرس اللساني التداولي؛ للإشارة إلى كونه علاقة استلزام منطقية بين جملتين أو أكثر، كأن يتلفظ متكلّم من خارج المملكة، فيقول:(أدّيت مناسك الحج السنة الماضية)، فهذه الجملة تقتضي جملة أخرى، وهي: أن المتكلم قدِم إلى المملكة العربية السعودية.

لقد تناول جرايس في نظريته التداولية "مبدأ التعاون" بين المتكلم والسامع، وهو ما يقود إلى ربط الكلام منطقيًّا بعضه ببعضٍ؛ لأن بينهما تعاونا ومعرفة مشتركة بنسقهما اللغوي. يقودنا هذا التعريف الأولي إلى أن" الاقتضاء" هو أن نفترض مجموعة من المعاني المشتركة بين المتكلم والسامع، فيتمّ ربط بعضها ببعض في السياق الداخلي للنص، والذي يستعين بالخلفية المعرفية لكل منهما.

بناءً على ما سبق، يتم دراسة علاقات الاقتضاء من خلال الدلالة المستلزمة التي يشير إليها التداوليون في أبحاثهم المرتبطة بالأفعال اللغوية بمصطلح (المعنى القضوي) (عبدالحق. 2005): فإذا تفحصنا الجملة الآتية: (نجحت في الاختبار)، فإن المعنى القضوي للجملة هو مضمونها الأول، أي (تجاوزت الاختبار بنجاح)، وأما الاقتضاء الثاني، فهو أن المتكلم قد حصل على درجة جيدة في مساره الدراسي، وعليه، فالجملة الأولى تقتضي الجملة الثانية.

ويمكن أن نحدّد مجموعة من الاقتضاءات التي يمكن تصنيفها، كالآتي:

أ- اقتضاء الملكية، عندما نقول: (اشتريت منزلاً جديدًا)، فالاقتضاء يستوجب أمرين:

الأول: أنني مالك لشيء ما، والاقتضاء الثاني أن ملكيتي الجديدة هي الثانية بعد الأولى.

ب- اقتضاء الخصائص، فإذا قلنا: (أهديتك قميصًا أخضر لمباراة المنتخب)، فهذا يعني أن للمنتخب نفسه أقمصة بألوان مختلفة.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

ج- اقتضاء الترتيب مثل قولك: (شربت القهوة بعد دخولي إلى المقهى). ذلك أن دخولي إلى المقهى اقتضى زمنيًّا، وعبر الترتيب والتوالي شرب القهوة. وهنا تطرح أمامنا اقتضاءات تخص الرتبة. أي رتبة الحقيقة في عالمٍ ممكنٍ ما.

ويمكن توضيح أهمية الرتبة، وتشكيلها للمعاني، ومقتضياتها انطلاقًا من طرح التساؤل الآتي:

كيف تؤثر الرتبة (رتبة مكونات الجملة في الاقتضاءات المستخلصة بين جملة وأكثر؟).

إذا انطلقنا من فرضية أوريكيوني وجرايس (المتوكل، 2010، ص 30-43)، التي تعتبر المضمر محايثًا للاقتضاء بحيث لا يتمفصل أحدهما دون الآخر، فإن رتبة الكلمات تؤثر على المحتويات القضوية، ومن ثم على تأويل الدلالة المضمرة.

فقد شكلت الرتبة أهم المباحث النحوية والبلاغية العربية من خلال مفهوم التقديم والتأخير. حيث إن تقديم المفعول به – مثلاً- على الفعل والفاعل يؤثر على المحتوى القضوي للجملة. كأن نقول: (تفاحة أكلت)، بحيث إن تقديم المركب الاسمي (تفاحة) يبني دلالة فائدة ثمرة التفاح، وهي دلالة قضوية مباشرة. غير أن الدراسات التداولية جعلت المكون المتأخر هو الذي يتضمن تلك الأهمية الدلالية. فعندما نقول:(سافر أبي إلى الرياض)، فالمكوّن الأساس دلاليًّا وقضويًّا: هو المركب الاسمي (الرياض). وهذا ما نعته التداوليون بثنائية المحور والبؤرة، فالمحور-غالبًا- ما يشكّل الدلالة الأساسية للاقتضاء. أي محور الكلام، بينما البؤرة تشكل المعلومة الجديدة التي يقدمها المتكلم للسامع وفق السياق (Hyun, & Kim, 1988)، فإذا كان الترتيب العادي بحسب فان ديك (Dijk, 1982, p 114)) يتوفر على الرتبة العادية في كل لغة مثل الفعل والفاعل والمفعول في اللغة العربية، فإنه يتم التشويش عليه انطلاقًا من مقاصد المتكلم الذي يتصرف في هذه الرتبة، فيقدّم أو يؤخر المكونات التركيبية مما يؤثر على المحور والبؤرة في الجملة والخطاب. فإذا قلنا: (إلى مكة سافرت)، فإن سياق الكلام قد ينتقي (مكة) أو (السفر)؛ لبناء الاقتضاء، وهو الذهاب إلى (مكان مقدس).

وبهذا المعنى، فمحور الخطاب يشكل أداة اتساقية تعزز الترابط بين الجمل، وانسجام النص، وهذا ما نجده في النحو التقليدي، وفي اللسانيات، وفي الفلسفة والمنطق، وهي كلها توظف مصطلحين اثنين يُبنى على أساسهما الاقتضاء، وهما: الموضوع (Subject)، والمحمول (predicate).

غير أن دعائم الاقتضاء لا تقتصر على ثنائيات المحور والبؤرة، والتقديم والتأخير، بل إن العامل الإنتاجي اللساني بوصفه سلسلة من الجمل يشكل تحيينًا للاقتضاء حسب السياق، وليس فقط بحسب النسق النحوي الداخلي الوظيفي للغة ما، وهذا ما اصطُلح عليه بوضعية الخطاب أو التلفّظ. فالعناصر المنتمية لشفرة اللسان، أي القواعد النحوية تحمل المعنى الاقتضائي، ولكن بحسب العوامل الخارجية المؤثرة من تلفظ لآخر. فالعناصر المكونة لتلفظ ما يمثلها المتكلم الذي يتلفظ، والمتلقي الذي يتوجه إليه الملفوظ، ومن ثم، فإن استنتاج دلالة الاقتضاء يقتضي النظر في الشروط السياقية لتلك المكونات. أي الشروط النفسية والاجتماعية وغيرها. وهذا ما يؤكد فرضيتنا السابقة التي افترضنا فيها: أن الاقتضاء والإضمار يخضعان من جهة إلى النسق اللغوي الداخلي (الوظيفة)، وإلى السياق الخارجي الذي يمثله ما نعتناه بالتلفظ ومكوناته.

فما هي إذن آليات بناء الاقتضاء واستنتاجه؟

1، 2 الاقتضاء والأنساق الوظيفية للغة.

تَعتبر اللسانيات الدلالية التداولية الاقتضاء نسقًا وظيفيًّا مباشرًا ينتج أنساقًا متعددة أخرى أهمها نسق الإضمار. غير أنه إذا كان الاقتضاء هو أساس الإضمار، فقد حدّد التداوليون آلياته المتعددة من قبيل المبادئ الآتية:

أ- آلية التعاون (Cooperative principle)، وقد اقترحه فيلسوف اللغة غرايس، الذي طوّر المفاهيم التداولية لدى كل من أوستين وسورل. حيث يقصد به أن المتكلم والسامع بينهما تعاون في القواعد الوظيفية والسياقية قصد تبرير الرسائل

في الخطاب. وعندما يتم خرق قواعد هذا المبدأ ننتقل إلى استخلاص المعنى الضمني بحيث إذا سألتك عن أخيك: (هل يتقن مادة الرياضيات، فتجيبني: إنه بطل في السباحة)، فهذا يعني أنك قد خرقت مبدأ التعاون، ومن ثم لا يعنينا الاقتضاء هنا، بل يعنينا الإضمار الذي يخفي الفعل اللغوي ومفاده: أن أخي لا يتقن الرياضيات.

ب- السياق الداخلي(Cotext)، والذي يشمل المجاورة والكلمات التي تتسق فيما بينها؛ لتعالج المعنى المباشر. أي الاقتضاء، وهو الرسالة السابقة التي يفترض أنها مشتركة بين المتحدث والسامع. (presupposition).

ج- السياق الخارجي (context)، ويرتبط بشروط إنتاج الخطاب في الزمان والمكان، ويشمل كذلك الشروط النفسية والاجتماعية.

د- الخلفية المعرفية المشتركة. حيث لا يمكن للمتخاطبِين أن يحددوا الاقتضاء في أذهانهما. أي المعاني الصريحة والمستنتجة من المبادئ السابقة دون أن تكون بينهم معرفة مشتركة مسبقة تقدم اليسر الكامل في التواصل.

هـ- التفاعل بين العام والخاص. ذلك أن الخطاب كما تفسّره أوريكيوني يعتمد على البناء المتوازي للاقتضاء والإضمار، ومن ثم يشكل الانتقال من العام إلى الخاص، أو من الخاص إلى العام آلية أساسية؛ لاستخلاص الاقتضاءات ورسائلها بالنسبة للسامع أو المتلقي.

وقد حددت هذه الباحثة آليات استنتاج الاقتضاء انطلاقًا من التركيز على إستراتيجيات الخطاب أو ما يمكن نعته بمقصديات الخطاب، والمنتج، والمتلقي، فإذا كان النص يحاول توجيه المتلقي نحو أحد معانيه، فإنه قد يصطدم بمقصدية القارئ الذي قد يقلب إستراتيجية كل من الخطاب ومنتجه. فيبني اقتضاءات جديدة؛ لأنها -حسب أوريكيوني- ليست مجرد ظاهرة لغوية، بل هي دينامية اجتماعية ترتبط بالثقافة والمجتمع والتأويل بوصفه علاقة بين أنساق اللغة الوظيفية، ودلالاتها في السياق الاجتماعي والسياسي وغيرهما.

إذن، إذا كان الاقتضاء هو نسق وظيفي واجتماعي، وينطلق من القواعد اللغوية الأساسية، فإنه يعتمد على هذه المبادئ ذاتها، التي تساعد المتلقي من خلال توظيفها على استخلاص الاقتضاءات، والاستلزامات الدلالية الملائمة.

إذن، ما المقصود بالإضمار الذي يستند بالضرورة إلى الاقتضاء؟

1، 3 مفهوم الإضمار

شكّل مفهوم الإضمار (Implicature) مجالاً لأبحاث متعددة مرتبطة بالدرس اللساني التداولي أو المعرفي حيث عولجت إشكالياته بوصفه تلك المعاني الضمنية التي يؤولها المتلقي انطلاقًا من الاقتضاء أو الملفوظات الصريحة، ويتخذ صيغتين رئيستين، هما:

الصيغة الأولى، هي: صيغة الإضمار الدلالي، الذي قد ينعت في بعض المباحث بالتضمين أو الإيحاء (connotation)، والصيغة الثانية، هي: صيغة الحذف، أو ما ينعت كذلك في البلاغة العربية القديمة بالإيجاز.

وإذا كانت الصيغة الثانية قد تمت معالجتها بشكل واضح وميسّر في المباحث اللسانية إلى حدّ بعيد، فإن الصيغة الأولى، أي التضمين والإيحاء شكّلت نقطة خلافٍ بين البحث اللساني التحويلي، والبحث اللساني التداولي مما أثّر على النقد الحديث في مختلف تجلّياته. إذ ما زالت مشكلة تأويل المضمرات في الخطاب الشعري- مثلاً- مشكلة نقدية يحوم حولها الاختلاف في معالجتها.

ومن أمثلة الإضمار بواسطة الحذف ما نعته اللسانيّون بالمضمرات التركيبية، فعندما نقول:(قرأت قصيدة وقصة)، فإن الجملة الثانية المعطوفة تأويلها (قرأت)، أو كقولك: (هل سافرت إلى مكة المكرمة)، فيكون جوابك: (نعم سافرت). إذ تمّ

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

في المثال الأول حذف المركب الفعلي (قرأت)، وفي الثانية تم الاستغناء عن المركب الظرفي (إلى مكة)، واكتفى المتكلم بالجواب المختزل، (نعم سافرت). وهكذا؛ فإن الإضمار بمعنى الحذف يتخذ وظائف في النسق اللغوي بين تفادي التكرار، والربط بين الجمل ربطا اتساقيًّا، ناهيك عن كونه يساهم في الاختزال والإيجاز.

غير أن الإضمار الذي يمثل إشكالية افترضنا أن حلّها رهين بالنظر إلى التعالق بينه، وبين الاقتضاء يطرح في الدراسات اللسانية والسيميائية والنقدية الحديثة مشكلة الإيحاء أو ما ينعت كذلك بالمعاني السياقية.

فقد نظر جريماس إلى المضمرات خاصة في كتابة (في المعنى-1970م) (Greimas, 1970, p 93, 96)، وذلك من خلال إدراجه فيما نعته (بعلم اجتماع المعنى). حيث تشكّل المضمرات شكلاً ثقافيًّا سيميائيًّا. وهو ما يلتقي كذلك مع تصور أمبرتو إيكو، ومن ثم يشكل السياق الداخلي والخارجي دعامة أساسية للمضمرات، فجريماس ينطلق من أطروحات يمسيليف التي تجعل النظام اللغوي منشطرًا إلى عبارة ومحتوى، وهو ما يعادل الدال والمدلول عند دي سوسير، ومن ثم كل نص يتضمن نسقًا للدلالة المباشرة، وهو ما نعتناه بالاقتضاء، وآخر بالمضمرات أو الإيحاء انطلاقًا من التشاكلات الإيحائية مما يجعل الخطاب الشعري أو الخطاب الحكائي نقطة التقاء الدلالة السيميائية التي تزاوج بين الدلالة المباشرة، والدلالة غير المباشرة، مما يجعل الإيحاء أو المضمر يرتبط بثنائية العبارة/ المحتوى.

انطلاقًا مما سبق، يحدّد غريماس مستويات الإضمار في النسق اللغوي السياقي كالآتي (Greimas, 1970, p 95):

على مستوى الشكل اللساني، تتم دراسة المستوى الفونولوجي. أي الأصوات ورمزيتها داخل النسق اللغوي، وبالتفاعل مع السياق الخارجي. وكذلك دراسة المحتوى المتعلق بالتركيب النحوي.

ويضيف غريماس أن الإيحاء يشتغل على مناطق مهمة، وهي تلك العلاقات التي تنطلق من الاقتضاء والصريح إلى الإيحاء أو المضمر.

ويمكن اختزال هذه المناطق الإيحائية كما قدمها جريماس في منطقتين اثنتين:

أ- المنطقة الأولى، وتتكون من إيحاءات تهمّ علم الاجتماع اللساني أو المجال السيسيولساني بحيث إن النصوص، -وبحسب يمسيليف- يمكن إنتاجها بواسطة لهجات محلية مختلفة، ومن ثم، يمكن دراسة المضمرات بوصفها علائق بين الظواهر اللسانية والاجتماعية.حيث يتضمن الخطاب الشعري تكثيفًا للثقافات والرموز المرتبطة بنموذج اجتماعي لغوي معين؛ مما يقود القارئ إلى تأويل المضمرات في ضوئها.

ب- المنطقة الثانية، وهي مكونة من أنواع أسلوبية شعرًا أو سردًا أو تشكيلاً. إذ تفتح المجال للتأويل السيميائي بناء على نمذجة المضمرات وفق العلاقة بين السياق الداخلي والخارجي كما أسلفنا سابقًا.

فالأمر هنا لا يتعلق بمضمرات مستوحاة من طريقة التواصل والتفاهم عبر اللغة، ولكن تلك المضمرات تؤشر بالأساس إلى الطريقة التي يوظف بها المجتمع الأشياء الاجتماعية التي تغدو مواد للتعبير اللغوي.

ج- المنطقة الثالثة للإيحاء، تمثلها مختلف الأساليب التقليدية أو الحداثية والشعرية أو النثرية التي تطرح قضية المضمرات بالنظر إلى نسقي التقليد أو الحداثة حسب الخطاب المدروس.

د- المنطقة الرابعة، وتشمل العلائق بين مختلف المستويات السابقة الصوتية والدلالية، والتي يمكن للقارئ أن يؤول رمزيتها، وأبعادها الإيحائية في ارتباطها بالبعدين الاجتماعي والسيميائي.

وبذلك، نلحظ أن درس المضمرات في السيميائيات الحكائية عند جريماس يستفيد من أطروحات يمسيليف، لكنه يضيف إليها ما نعته بالحقيقة الاجتماعية المعيشة. والمقصود بها أن (أنا الشاعر) -على سبيل المثال- تخفي وجودها السيميائي بواسطة شبكة من المضمرات التي يعتقد من داخلها أنه يعيش ويشعر ويحكم ويعتقد.

وهذا ما ينعت بالموجهات (Modalities) التي تختزل مقصديات المتكلم والمتلقي، وتتحكم في تأويل المعاني المضمرة، وهي موجهات الرغبة والاعتقاد والحكم إلخ.

المضمر إذن، هو نسق سيميائي يتضمن شبكة من المعاني الذاتية والاجتماعية على مستوى العبارة والمحتوى، التي تشمل الموضوعات الثقافية السيميائية السمعية والبصرية وغيرها. مما يجعل الإيحاء أو المضمر بمثابة نسيج للمعنى المشترك في بعده الاجتماعي والثقافي الذي يحتاج إلى إعادة بناء بالنظر إلى(التشاكل الشعري) الذي يمنح من خلال العلاقات الصوتية والدلالية والتركيبية إمكانيات واسعة لبناء المضمرات.

فكيف نبني المضمر في الخطاب الشعري؟

1- مو اقع اشتغال المضمرات والسمات

إن بناء المضمرات في الخطاب الشعري وغيره، ينبني-كما افترضنا آنفًا- على صريح الخطاب واقتضاءاته. ومن ثم يرتبط تأويل المضمرات بالبنية اللغوية المساقية، والبنية السياقية المتمثلة في المعرفة المشتركة بين السامع والمتكلم وعلاقاتهما النفسية والاجتماعية. وبذلك نحدد آليات تأويل المضمرات انطلاقًا من المبادئ الآتية:

أ_ **المساق** (Co_text)، وهو ما يعرف بالسياق اللغوي الداخلي. حيث نحلّل المؤشرات النحوية التركيبية من قبيل أدوات التعريف والتنكير، والضمائر، والمركبات الإشارية. مثل: (الآن، هنا، هناك... إلخ). كقولنا -على سبيل المثال-(الضجيج مزعج حولنا) تقولها لجارك، فالمتكلم قد اختار المركب الاسمي الضجيج معرفًا، فيتمكن السامع، أي الجار من التقاط المضمر مباشرة، وهو ضجيج أحد الجيران يزعجنا، فالتعريف يقوم بوظيفة التعيين، والحد للضجيج المقصود والمعروف في ذلك السياق.

يمكن للقرائن اللغوية أن تلعب دورًا أساسيًّا، وضمن محور المساق في بناء المضمر انطلاقًا من صيغة التنغيم الخطابي، فعندما أقول لطالب كسول: (اجتهد وزد في اجتهادك). حيث إن المركب الفعلي (اجتهد) ليس أمرًا على وجه الاستعلاء، بل هو بنية فعلية تضمر سمات السخرية والتوبيخ.

وهكذا، فإن البنى اللغوية وغيرها، من مؤشرات المساق (السياق الداخلي) تلعب دور الموجه الرئيس؛ لتأويل المضمرات، يقول المتنبي (2015، ص 128):

أجِـــدُ الجَفـــاءَ علـــى ســـواكِ مُـــروءةً	والصـــــبرَ إلا فـــي نـــــواكِ جمِـــــيلا
وأرى تـــــدلّلك الكثيـــــر مُحبّبـــــا	وأرى قليـــــلَ تـــــدلُّلٍ مَملــــــولا

نلحظ أن الشاعر يقدّم في هذين البيتين فكرة يدافع عنها، لكنه أظهر مقتضاها، أي الاقتضاء، وترك للمؤول بناء مضمرها انطلاقًا من الاقتضاء الصريح ذاته. ذلك أن المنطوق الصريح في الدلالة في البيتين السابقين هو التصريح بالصبر مع المحبوب. غير أن هذا الاقتضاء يُخفي فعلاً لغويًّا آخر هو الاستلزام الحواري الذي يقول: ما أجمل الصبر مع جميل الحب!. إذن صريح الصبر يخفي صريح الحب.

ويمكن أن ندرج أمثلة عديدة عن السياق الداخلي من خلال اتساق الخطاب، وروابطه المتعددة، وهو ما سنفصّل فيه القول من خلال مقاربة ديوان: (أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدةٍ واحدة لعبد الله بيلا).

ب_**السياق الاستلزامي الحواري**، ونقصد به العلاقة بين المتكلم والسامع، وهي علاقة سياقية مركبة يمكن أن نعالجها انطلاقًا من مفهوم الاستلزام الحواري في النظرية التداولية.

ذلك أن اللسانيات التداولية، والتي انتقلت مفاهيمها إلى النقد الأدبي بمختلف مجالاته قد عالجت قضية الاستلزام الحواري خاصة مع جرايس انطلاقًا من بناء المعاني المضمرة، وافتراضها تبعًا لقواعد الحوار بين المنتج والمتلقي، فإذا كان بينهما تعاون، فهذا يعني أن الخطاب يتوفر على الشرح من خلال مبدأ الكمية، وذلك بقصد تقديم المعلومات المطلوبة، لتحقيق التواصل إضافة إلى مبدأ الجودة حيث يعتمد الطرفان على قول الحقيقة إلى حدّ بعيد.

غير أن المضمر قد يتمفصل بكثافة في الخطاب، أي من خلال الاستلزام الحواري عندما تخرق المبادئ السابقة، أي التعاون ومبدأ الكمية، ومبدأ الجودة وغيرها، فإذا قلت لك:(هذا الفيلم رائع) وسألتني هل شاهدته؟ وأجبتك: لا، فإنني قد خرقت مبدأ الجودة الذي يفترض الصدق؛ لأني أبديت الإعجاب بالفيلم دون مشاهدته، وإذن نبني مضمرًا أو مضمرات انطلاقًا من سياق العلاقة بيني وبين السامع، حيث يشيد في ذهنه مضمرًا من قبيل أنك معجب بالأفلام بشكل عام، أو بثقافة الأفلام، فكلما ذكر لك ما يتعلق بالأفلام تبدي إعجابك به.

وتتوزع صيغ الاستلزام الحواري بين الاستلزام القوي، أي الواضح إلى حد ما عندما نقول: (بعض تصرفات المسلمين في رمضان غير لائقة)، فالمعنى المضمر هو ليس كل تصرفاتهم. ثم هناك الاستلزام الضعيف الذي يدخل المؤول في باب الغموض الشعري. كقول عنترة بن شداد (الزوزني، 2014، ص 66):

ولَقَـــــد ذَكَرتُـــــكِ والرِّمـــــاحُ نَواهِـــــلٌ … مِنّـي وبِـيضُ الهِنـدِ تَقطُـرُ مِـن دَمـي
فَـــوَدَدتُ تَقبيـــلَ السُـــيوفِ؛ لأَنها … لَمَعَـــت كَبـــارِقِ ثَغـــرِكِ المُتَبَسِّـــمِ

نجد في هذا الملفوظ أن الشاعر، وبواسطة الاقتضاء، وصريح المعنى يذكر حبيبته في خضم المعركة، ولمعان السيوف، غير أن المتلقي يمكن أن يجعل من هذا المزج التصوري بين الحرب والحب، انطلاقًا من استعارة معرفية، وهي: الحب حرب، فشاعرنا يحارب إذن من أجل محبوبته. لنعيد بدورنا بناء المضمر وهو: أجاهد وأحارب لأجل الحب. غير أن بناء المضمرات يستند كذلك، وخاصة في الخطاب الشعري إلى العلاقة النسقية بين السمات العرضية، والسمات الجوهرية في الخطاب.

ج- الدلالة الخفية، ولعبة السمات، إذا كانت أطروحتنا قد جعلت من تمفصل المضمرات، أو الدلالة الخفية ينبني على مقتضيات لغوية نسقية، ومنها الاقتضاء، فإن السمات أو المقومات (features) تلعب دورًا وظيفيًّا في تأويل خطاب المضمرات، وتشكله؛ لأنها تلك الوحدة الدلالية الصغرى التي تشكل المعنى الرئيس للوحدة الدلالية من خلال انشطارها كما جاء في دراسات جريماس وراستيي إلى سمات جوهرية، وأخرى عرضية. أي مضمرة وإيحائية.

من ثم، فالسمات تدخل في علاقةٍ بعضها ببعض، وفق سياق الخطاب ومساقه، فإذا قلت:(زارنا البحر هذا الصباح)، فإننا نستبعد في التأويل السمات الجوهرية للبحر من قبيل (+ موج، + هيجان، + طبيعة..)، ونختار المقوم العرضي المضمر في الجملة، وهو: (+ إنسان كريم)، ومن ثم، فالمقومات العرضية أو ما ينعت كذلك بالمقومات الإيحائية هي: عبارة عن كثافة بلاغية تؤشر إلى سمات مضمرة ترتبط بالثقافة والتقاليد والعادات وغيرها.

وهذا يعني أن المتلقي والمنتج معًا يبنيان الخطاب ويؤولانه انطلاقًا من تفكيك السمات الخفية فيه عبر مبدأ الانتقاء (selection principle) بالنظر إلى شبكة من العلاقات السياقية والدلالية المستندة أيضًا، وكما طرحنا سابقًا في السياق اللغوي الذي يراعي المجاورة بين المكونات اللغوية.

وبذلك يمكن الاشتغال على عدة مفاهيم موازية سنشتغل عند الضرورة ببعضها من قبيل التناص، والمقابلة والتضاد والتوازي، ناهيك عن الاستعارة التصورية، وما يمكن أن تحمله عبر المجاز من سمات مضمرة هي بالأساس سمات أيديولوجية أو نفسية أو اجتماعية يعمل المؤول على تأويلها بعد تفكيك خطابها. فالتشاكل-على سبيل المثال-، وهو إحدى آليات قراءة المضمرات ليس نسقًا معطى، بل هو نسق يبنى بواسطة الخلفية المعرفية سواء أكان ذلك لمنتج الخطاب أم مؤوله.

وفي ختام هذا التنظير الذي قدمناه، نؤكد على العلاقة الجدلية بين الأنساق الأربعة، وهي: الاقتضاء، والنسق اللغوي الداخلي، والإضمار، والنسق السياقي الخارجي، حيث تتشابك العلاقات الدلالية بينها، فلا يحضر أحدها دون الآخر، وهو ما يمثله النموذج الآتي:

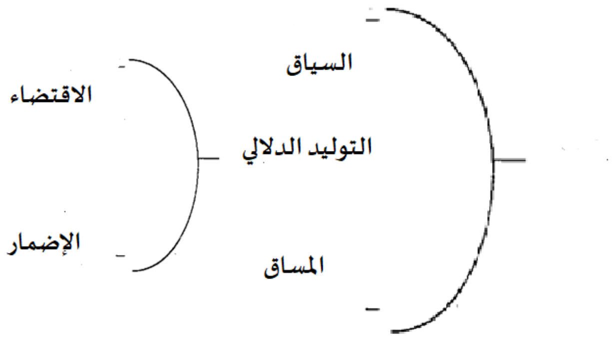

الشكل(1) شبكة التوليد الدلالي

إذن، هناك -بناء على هذه الشبكة العلائقية السابقة- علاقات التفاعل بين مكونات الإنتاج الدلالي الظاهر والمضمر، حيث لا يستغني المكون الأول عن الآخر، فالاقتضاء مرهون بالإضمار، والعكس صحيح كذلك، من خلال العلاقة التفاعلية بين السياق والمساق. هذه الشبكة الدلالية نبحث عنها في ديوان الشاعر عبد الله بيلا: (أربع وعشرون ذاكرة لقصيدةٍ واحدة).

3- في اقتضاء الشاعر انتظام، وفي مضمر القارئ عبث

1.3. لعبة التوازي بين الزمان والمكان

عندما نقرأ عنوان ديوان:(أربع وعشرون ذاكرة لقصيدةٍ واحدة). إنما نقرأ لغة العدد (أربع وعشرون)، وهي ذاتها عدد ساعات اليوم، والمحّص لذلك هو الوحدة المعجمية (ذاكرة) التي تحيل على مفهوم (الآن) بوصفه الزمان الذي ينتظم كل ساعة منفلتة إلى الماضي؛ لتصير ذاكرة. فهل يقصد الشاعر في هذا العنوان تثبيت فكرة الزمان الفيزيائي اليومي أم أنه يوجهنا إلى مؤولة أخرى غير ذلك؟

غير أن الباحثة تميل إلى أن شاعرنا، يحاول أن يوهم القارئ بالمعنى الأول، أي الزمان التتابعي خاصة أنه يستهلّ الديوان بالآية القرآنية الكريمة كي يوهمنا أكثر بمقصدية الزمان الفيزيائي ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، وإضافة إلى كل ذلك يحدد الشاعر نصوصه بمنظور زماني خادع فحواه: أنه كتب نصوص الديوان بترتيب زماني [ما بين شهري نوفمبر 2017م ومارس 2020م].

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

إن تحليلنا لهذه العتبات الأولية قادنا انطلاقًا من فحص اقتضاءاتها إلى أن الشاعر يحاول أن يوهم القارئ بالزمان التتابعي. غير أننا نخالفه المقصدية، ونبني افتراضاتنا المقابلة لها كالآتي: إن شاعرنا، وعلى مستوى الإضمار يتحول الزمان عنده إلى زمانية (Temporality) بالمعنى الذي نجده عند مارتن هايدغر وأوغستين حيث تتحول مقولات من قبيل الآن والماضي والمستقبل إلى مقولات للزمانية الوجودية، فيصبح للذاكرة أزمنتها الوجودية، كما يصبح كل زمان فيزيائي بما فيه (الآن) بمثابة مؤشر على الزمانية الوجودية التي تختزل القلق الإنساني من الوجود ذاته.

فإذا كان فلاسفة اليونان، ومن بينهم بارمنيد يعتبرون (الآن) منفلتًا عن الوجود، فإن أوغستين يجعله محور استقطاب الزمانية الآتية: فهناك الذاكرة التي تنطلق من الماضي إلى الحاضر لقياسه، وهناك الانتظار الذي ينطلق من الحاضر، لقياس المستقبل، ومن ثم تصبح الزمانية في اللغة، وفي الخطاب الشعري تحديدًا؛ بمثابة زمانية ثلاثية الحاضر، وهي حاضر الماضي (الذاكرة)، وحاضر الحاضر، أي الانتباه، وحاضر المستقبل، أي الانتظار (Ricoeur, 1983).

غير أن هذا النظر إلى الزمانية يتعزز بمنظورات هايدغر حيث يصبح الزمان بمثابة الكينونة/ هنا (Dasein) التي (هي ديمومة، ويمكن أن تكون الديمومة في الكينونة من أجل المستقبل، في استقبال الناجز الأكيد، ولكن غير المتعين) (مارتن، 1988 أ، ص 108، 109؛ مارتن، 1988ب، ص 33، 35). وبذلك يتحول الزمان إلى زمانية ذاتية وجودية تعبر عن كينونة الذات، وقلقها من المستقبل والمصير، وهو المعنى الصوفي نفسه الوارد عند أوغستين.

من هذا المنطلق، صُغنا خطابًا افتراضيًّا يبني ويعيد بناء الديوان على أساس النواة الدلالية الآتية: تعيش الذات الزمانية بالمعنى الفيزيائي، وهذا ما يظهر الاقتضاء في القصيدة، لكن الإضمار يخفي استلزامًا حواريًّا مفاده: أن الذات تعيش مأساة الزمان بين الذاكرة والانتظار. فكيف نبرهن على مؤولتنا هذه؟

يقول الشاعر عبد الله بيلا في قصيدة (ذاكرة السادسة صباحًا):

وَهَا أنْتَ تصْحُو
وتُوقِظُ هَذَا الصَّبَاحَ النَّؤُومَ مَعَكْ
يتعَثّرُ حِينَ تنبّهُهُ
ببقَايَا النُّعَاسِ الملَبَّدِ في عَينهِ
كلمَا نَبّهْته يَدَاكَ
تبَعْثَرَ هَذَا النُّعَاسُ اللطِّيفُ
اسْتَفاقَ
ليفْركَ عَنْ عَيْنَهِ طَيْفَ أمْسِكَ
خُذْ بِيَدَيْهِ إِلَى شُرْفةِ البَيْتِ
واصْنَعْ لِهَذَا الصَّبَاح
جَنَاحَيْنِ مِنْ أُغْنِيَاتْ.
المدَى مُشرعٌ لَكَ يَاصبُحُ
طِرْ..
وابْتكِرْ للنَّهَارَاتِ لَوْنًا جَدِيدًا
أفضْ مِنْ سَنَائِكَ

فِي كُلِّ روحٍ تحرّتْ هُطُولَكَ
واذهَبْ
بَعِيدًا..
بَعِيدًا
إلَى حَيْثُ تبْسمُ مِنْكَ الحَيَاة.
وَهَا أنْتَ وَحْدَكَ
مَاذَا سَتَفْعَلُ فِي هَذِهِ السَّاعَة البَاكِرَة؟
بمَاذَا يُفكّر صُبحك؟
ذَاكَ الذي طارَ عَنْكَ بَعِيدًا
فلُذْتَ إلَى الفِكَرِ الفَاترَة؟
سَآخذُ قِسْطًا خَفِيفًا مِنْ النَّوْمِ..
أَوْ
سَأُزَاوِلُ بَعْضَ التَّمَارِينِ
أَوْ
أسْتحِمُّ سريعًا
وأقرأُ آخِرَ فَصْلٍ بِهَذِي الرّوَايَةِ
أفطرُ وحْدِي
وأشْرَبُ كوبًا مِنْ الشَّايْ
أقرأُ فِي هَاتِفِي
كلُّ تِلْكَ الّتحَايَا التِّي كَرّرتْ نَفْسَهَا
وأكرّرُ إرْسَالهَا!!
أتذَكّرُ
هَذَا صَباحُ الثّلاثَاءِ
ثمّةَ مَدْرَسَة، وَدَوَامٌ كَئِيبٌ
وطُلّاب ينتْظِرونَكَ
أنسَى.. وأذكُرُ
أنّ المَعَاش ضَئِيلٌ
ولكنّنِي سَأخَاتِلُهُ لأَعِيشَ..
أعُضُّ عَلَى غَضَبِي
ثمّ ألعَنُ حَظّي
وأسْتغفِرُ الله..
لستُ ألومك يَا رَبّ

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

إنَّ صَباحِي تفلّتَ مِنْ طَوقِ رُوحِي
وهَذِي خُطَايَ
عَلى كُلِّ هَذِي البِلاَدِ زبدٌ (بيلا، 2022، ص 8، وص 11).

حيث تقدم الأسطر الأولى الدلالة القضوية، والمتمثلة في (الجمل التقريرية الخبرية):

وهَا أنت تصْحُو... يتعثر حِين تنبهه، وتوقِظ هذا الصَّباح النؤوم معَك، تبعثر هذا النُعاس اللطيّف..)، وتقدم المعنى القضوي الاقتضائي الظاهر والمباشر، وهو: استيقاظ الشاعر صباحًا، وما يؤكد ذلك الجملة الخبرية بوصفها وحدة دلالية وهي:(وهَا أنتَ تصْحُو).

ويمكن أن نحدّد معاني قضوية أخرى في القصيدة موازية لما سبق، مثل: (وهَا أنْتَ وحْدَكَ، أستحِمُّ سَريعًا، أتذكَّر، أسْتغفر....) غير أن توالي الاقتضاء المبني على أساس الجمل الخبرية التقريرية يتجاوزها إلى اقتضاءات مباشرة لجمل إنشائية تبعثر أوراق الشاعر والقارئ معًا، وذلك في شكل أنساق لفعل الأمر والاستفهام. كقوله:(خذ بيديه إلى شرفة البيت، واصنع، وابتكر، يا صبح طر، واذهب بعيدًا، بماذا يفكر صبحك، ماذا ستفعل في هذه الساعة الباكرة..).

إنها مؤشرات دلالية تتضمن ما ينعته اللسانييون بالمراكز الإشارية التي تتمركز حول الذات، أي الضمائر، ومركبات الإشارة (Deictic centers) مما يعزز فرضيتنا السابقة بحيث يتحول الزمان (الصباح) إلى زمانية ذاتية وجودية (تخاف وتقلق من الرتابة الزمنية المتتابعة، وكأن الشاعر عندما يقدم الزمان في الاقتضاء، إنما يخفي الاحتجاج على رتابته وسكونيته. حيث يعدد بواسطة العلاقات الاستدعائية في المتواليات الجملية التي تحيل على التتابع الرتيب لعادات يومية: (أستحمّ سريعًا، أشرب كوبًا من الشاي، أقرأ في هاتفي...). إنه القلق أو الخوف من المصير المحتوم بالنظر إلى معنى الزمانية عند أوغستين، ومن ثم يصبح القلق تلك الكينونة هنا، التي تعبر عن القلق المستمر، والدليل اللساني على ذلك إقرار الشاعر الآتي:

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
لسْت أَلُومكَ يَا رَب
إنَّ صَبَاحِي تفلّتَ مِنْ طَوْقِ رُوحِي...

معنى ذلك أن شاعرنا في (ذاكرة السادسة صباحًا) ينفلت منه (الآن)، ويستحضره كذاكرة، ثم يراكم كل الذاكرة وفق ساعات اليوم، وما هي إلا زمانية تؤشر عليها (قلق الكينونة)، وهروبها إلى السؤال الفلسفي البعيد الذي يتجاوز يوميّات شاعر.

فتأويلنا الزمان بمعنى الزمانية الذاتية يقودنا إلى مزيد من المؤولات المضمرة بالاستناد إلى النسق اللغوي(المساق) الذي حدّدنا بعض أمثلته في الجمل الخبرية والإنشائية، وكذلك بالنظر إلى السياق الخارجي المتمثل في الخلفية المعرفية للشاعر، وفي ثقافته من خلال مؤشرات مرجعية (Referencial) من قبيل(مندفعًا إلى الروتين)، (الغترة البيضاء جاهزة)،(حقيبتك التي ازدحمت بأوراق التحاضير)،(حزمة الأوراق)، (أغنية لفيروز)، (طفل عابر حياك مبتسمًا)، (فأشعل جذوة الأمل المبدد فيك)،(موسيقا عصافير الصباح)...

فشاعرنا إذن، يؤكد في مستوى الإضمار على قلق وجودي تتضافر في تشكيله المؤشرات النسقية اللغوية، والمؤشرات السياقية الوظيفية. غير أن مستويات التوازي تثيرنا في الديوان بالقدر الذي يجعل كل ذاكرة، وكل ساعة هي مساوية في الدلالة والإيحاء لغيرها. حيث إن (ذاكرة السادسة صباحًا) هي نفسها (ذاكرة العاشرة صباحًا)، وهي ذاتها (ذاكرة الثانية مساءً)، بل هي (ذاكرة الثالثة صباحًا...) الخ.

فكيف نعيد بناء هذا التوازي دلاليًّا وتركيبيًّا وصوتيًّا؟

لنلحظ أن كل ذاكرة تبدأ بوحدة تركيبية خبرية من قبيل: (غفوة في جفون المساء)، (في الذاكرة السابعة مساء)، (في هذا الوقت النافر)، (في ذاكرة التاسعة مساء)، (هروبًا من الشعر)، (في ذاكرة العاشرة مساء)، (وها أنت تصحو)، (في ذاكرة السادسة صباحًا)، وهو كما نلحظ توازٍ تركيبي يحافظ على التوازي الدلالي نفسه الذي يتمحور حول الرسالة الجديدة في الخطاب المضمر، وهي القلق والانكماش إلى الذات من خلال وحدات تركيبية استفهامية من قبيل: (بماذا يفكر صبحك)، (ماذا ستفعل في هذه الساعة الباكرة).

إن هذا البناء المتوازي يتراكم صوتيًا كذلك من خلال تكرار بعض الصوامت المتجاورة صوتيًا مثل: (السين) في (أسْتغفِرُ)، وفي (لسْت)، وكذلك الصامت (الباء): (يَا رب/ صَبَاحِي/ البِلاد...)، ومن ثم نستنتج أن ديوان الشاعر تنتظمه القاعدة الدلالية الآتية:

كلما طرح الاقتضاء معنى يوميا متداولا ومعروفا من قبيل الساعات اليومية تمفصل الإضمار بالخوف والقلق من رتابة الزمان ذاته؛ بوصفه، أي هذا الإضمار معلومة جديدة يشتغل بها القارئ؛ لإعادة بناء مؤولاته التي تنسجم وفرضياتنا السابقة، وتوضيح ذلك وفق النمذجة الآتية:

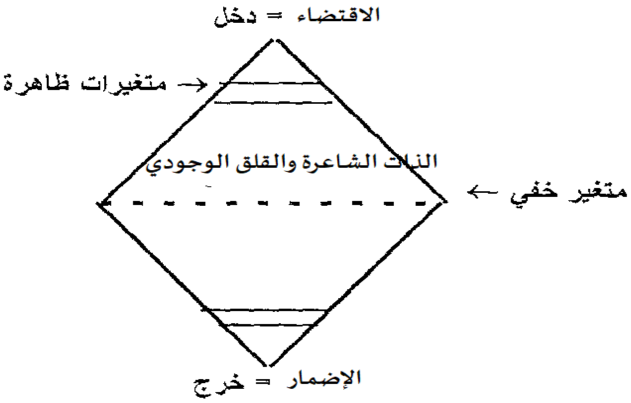

الشكل (2) البناء الموازي بين الاقتضاء والإضمار

يوضح هذا الشكل البناء المتوازي للإضمار والاقتضاء. إذ كلما حضر الاقتضاء حضر الإضمار، فالأول ينشط الزمان الفيزيائي بينما الثاني، وهو مؤولة القارئ ينشط الزمانية الوجودية. غير أن بناء التأويل يستند إلى أسس التأويل المحلي الذي يستند إلى مقولات لسانية وفلسفية من قبيل(الآن)، والذاكرة والتوازي التركيبي والكينونة هنا والتوازي الدلالي والتوازي الصواتي وغيرها.

غير أننا نفتح ذاكرة الشاعر على عوالم الاستعارات الغرائبية. حيث يتجاوز الواقع نحو استعارات يحيا بها في العجائبية.

2.3 دوال الاستعارات الغرائبية

يمكن القول، إن مفهوم العجائبية (The fantastic) يتخذ فلسفيًا ونقديًا: توظيف العناصر الخارقة للطبيعة. حيث تتجاوز العجائبية في الرواية أو الشعر الطبيعة البشرية في السلوك والتفكير والإنتاج. وهي بذلك تختلف عن (الخيال

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

العلمي)، لكونها لا تستند إلى وقائع طبيعية حاضرة أو مستقبلية يمكن أن يطورها العلم، بل هي تصورات استعارية غريبة، توظف الأسطورة أو التركيب الاستعاري العجائبي كاستحضار الخرافة واللامعقول كما في الشعر السريالي.

من ثم، نفترض أن شاعرنا، وهو يستحضر الذاكرة والزمان في المستوى الأول، وهو مستوى الاقتضاء؛ ليخفي مضمرات القلق الوجودي في المستوى الثاني يوظف استعارات ذهنية عجائبية. أي استعارات تتجاوز حدود الواقع والطبيعة، وهو ما يعزز المضمرات في خطابه.

لنفحص هذه الفرضية من خلال الملفوظات الآتية:

(وتُوقظُ هَذَا الصَّبَاحَ النَّؤُوم مَعَكْ)، (تبَعْثِر هَذَا النُّعَاسَ اللَّطِيفَ)، (بمَاذَا يُفَكِّرُ صُبْحُك)، (ذَاكِرَة السَّادسِة صَبَاحًا)، (تُهْدهِدُ القَلْبَ المسافِر)، (مِنْ ذَاكِرَةِ السَّابِعَةِ صَبَاحًا)

(يُدْهِشُكَ انْبعَاثُ رمَادِكَ المسْفُوح)، (تحتكَ وَهُوَ يَكنِسُ عَنْ طريقِ خُطاكَ).

(مِنْ ذَاكِرَةِ الثَّامِنَةِ صَبَاحًا)

(أُسَمِّيهِ سِجْنًا،

يُسَمُّونَهُ فِي زَوَايَا المدارسِ فَصْلاً

المُسَمَّى المُهِمُّ هُنَا

لَا الأسَامِي

سَأمْنَحُهُ الآنَ

تَسْمِيَة لائِقَة

....

وليَكُنْ قفصًا للعُقُول

كمَا يَتَبَدَّى لِي الآنَ

ثَلاجَة للجُثَث) (بيلا، 2022، ص 7، 22).

في الملفوظ الأول-على سبيل المثال- يمكن أن نقرأ البنية التركيبية من زاويتين لسانيتين:

أ- الحمل التركيبي. أي إسناد النوم للصباح، وعامل الإيقاظ للصباح كذلك. مما خلق غرابة وتشويشًا دلاليًا. إذ كيف يمكن للصباح أن ينام؟ وكيف يمكن أن نوقظه؟

ب- الحمل الاستعاري، جيث يتحول الحمل التركيبي السابق إلى إسقاط مقومات بشرية (+ النوم) على الوحدة الدلالية للطبيعة، وهي الصباح مما أنتج استعارة غرائبية في ذهن المتلقي نتيجة الحملين السابقين جراء الجمع بين المتناقضات.

وعندما يقول الشاعر في (ذاكرة التاسعة صباحًا) مشيرًا إلى الفصل الدراسي: (وليَكُنْ قفصًا للعُقُول.. كَمَا يَتَبَدَّى لِي الآنَ ثلاَّجَة لِلُجثَثْ).

فإن مستوى الاستعارة التصورية العجائبية يزداد كثافة. إذ كيف يمكن أن تتحول عقول الطلاب إلى جثث في الثلاجة؟! وبذلك نحلل هذا المستوى الاستعاري العجائبي من خلال إسقاط المقومات المتنافرة فيما بينها، كالآتي:

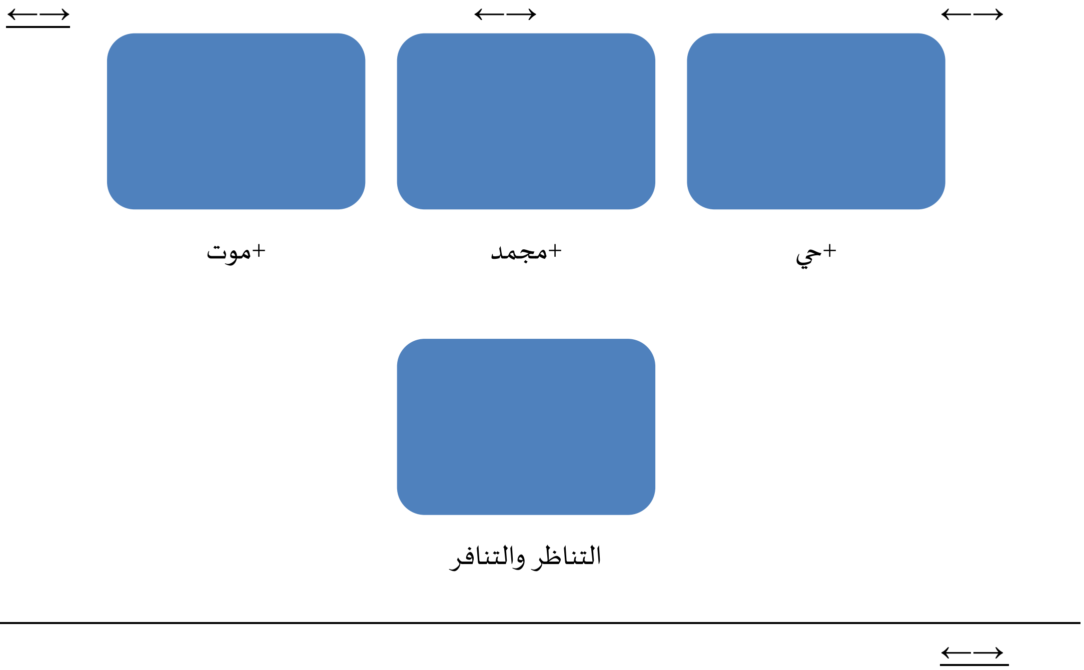

الشكل(3)الإسقاط الاستعاري العجائبي

هكذا، ينتج خطاب الشاعر مضمرات بواسطة الحمل الاستعاري المتنافر الذي يحول الخطاب من مستوى استعارات المشابهة إلى مستوى الاستعارات المتنافرة والمفارقة، والتي تنتج بدورها تجاوزًا للواقع نحو عوالم الدهشة والغرابة والعجائبية. حيث إن الموت، وهو مشابه للثلاجة في السكونية يتحول إلى عقول الطلاب، وهم أحياء مما ينتج المفارقة الاستعارية العجائبية.

خاتمة الدراسة، و آفاقها

إن الشاعر ينتج ملفوظات الذاكرة، ويشيّد في الآن ذاته عبر الاستلزام الحواري مضمرات اختبرنا بعض طرقها، ومنها: أن الإضمار يستند في الأصل إلى الاقتضاء ذاته، أي الصريح المباشر، وذلك في شكل بناءٍ موازٍ يناظر بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي، ويتخذ صيغة أفعال لغوية تداولية أسعفنا إسقاط مفهوم الكينونة هنا عند هايدغر، ومفهوم الزمان عند أوغستين في إعادة بناء مؤولاتها المضمرة، والمتمثلة في كون الشاعر يحوّل الزمان اليومي العادي إلى زمانية فلسفية عنوانها الضجر والقلق الوجودي.

ولم يتوقف تحليلنا للخطاب وتأويله عند هذه الحدود، بل فككنا الاستعارات العجائبية التي أنتجت مقومات أو سمات دلالية تعزز تأويلنا (لقلق الشاعر)، وهي سمات: (+ غرائبي)، (+ مفارق + متناقض).. الخ.

ومن ثم، فمن أهم نتائج بحثنا وآفاقه، أن البحث في المضمرات هو ذو طبيعة تداولية في تحليل الخطاب، قابل في مجال النقد الأدبي للاختبار على الخطاب الشعري أو السردي عامة. كما أن من نتائجه الأساسية أن ما ينعته بعض النقاد

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

(بالمسكوت عنه) ليس إلا تحليل وتفكيك لعلاقة المعنى الصريح بالمعنى المضمر. فهذا التكافؤ والتوازي بين النسقين في الخطاب هو ما يحدث الشعرية، وغرابة الفعل الأدبي المتخيل.

المراجع:

بيلا، ع. (2022). *أربعٌ وعشرون ذاكرة لقصيدة واحدة* (ط.1). دار رقش للنشر والتوزيع.

الزوزني، ا. ب. أ. (2014). *شرح المعلقات العشر* ط.1). مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع.

عبدالحق، ص. إ. ع. (2005). *نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس* (ط.1). الدار المصرية السعودية.

مارتن، هـ. (1988 أ).مفهوم الزمن، *مجلة العرب والفكر العالمي*، (4)، 56-68

مارتن، هـ. (1988 ب). الكينونة والزمن (جورج كتورة، ترجمة)، *مجلة العرب والفكر العالمي*، (4)، 72-89

المتنبي. (2015). *ديوان المتنبي* (عبد الرحمن المصطاوي، تحقيق؛ ط.9). دار المعرفة.

المتوكل، أ. (2010). *اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري* (ط.2). دار الكتاب الجديد المتحدة.

References

ʻAbd al-Ḥaqq, Ṣ. I. ʻA. (2005). *The theory of meaning in Paul Grice's philosophy* (1st ed.). The Egyptian-Saudi House, (in Arabic).

Al-Mutanabbī. (2015). *Dīwān al-Mutanabbī* (A. al-Muṣṭawī, Ed.; 9th ed.). Dār al-Maʻrifah, (in Arabic).

Al-Mutawakkil, A. (2010). *Functional linguistics: A theoretical introduction* (2nd ed.). Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, (in Arabic).

Al-Zūznī, I. B. A. (2014). *Commentary on the ten Muʻallaqāt* (1st ed.). Umm al-Qurā Foundation for Translation and Distribution, (in Arabic).

Bīllā, ʻA. (2022). *Twenty-four memories for one poem* (1st ed.). Dār Raqsh for Publishing and Distribution, (in Arabic).

Greimas, A.J.(1970), *Du Sens*, Seuil.

Hyun, A., & Kim, O. (1988). Preverbal focusing and type XXIII langues. In M. Hammond & others (Eds.), *Typological studies in language* (Vol. 17, pp. 66–80). Benjamins Publishing Company.

Martin, H. (1988a). The concept of time. *Al-ʻArab wa-l-Fikr al-ʻĀlamī, 4*, 56-68, (in Arabic).

Martin, H. (1988b). Being and time (G. Kattūra, Trans.). *Al-ʻArab wa-l-Fikr al-ʻĀlamī, 4*, 72-89, (in Arabic).

Ricoeur, P. (1983). Temps et récit I. In F. Wahl (Ed.), *L'ordre philosophique* (p. 96). Seuil.

Van Dijk, t. A. (1982). *text And Context*, University of Amsterdam.